

صلاح إسماعيل

اللغة والعقل والعلم
في الفلسفة المعاصرة

اللغة والعقل والعلم

في الفلسفة المعاصرة

صلاح إسماعيل

اللغة والعقل والعلم

في الفلسفة المعاصرة

رؤية
للنشر والتوزيع
2018

الكتاب : اللغة والعقل والعلم
في الفلسفة المعاصرة
تأليف : د/ صلاح إسماعيل
المدير المسؤول : رضا عوض
رؤية للنشر والتوزيع
القاهرة : 0122/3529628
8 ش البطل أحمد عبد العزيز – عابدين
تقاطع ش شريف مع رشدي
Email: Roueyapublishing@gmail.com
فاكس : 25754123 (202) +
هاتف : 23953150 (202) +
الإخراج الداخلي : حسين جبيل
جمع وتنفيذ : القسم الفني بالدار
الطبعة الأولى : 2018
رقم الإيداع : 2018/4123
الترقيم الدولي : 978-977-499-303-9

الإهداء

إلى روح أستاذي الفيلسوف الحق
الأستاذ الدكتور يحيى هويدي

مقدمة

كنت قد اتخذت في بداية حياتي العقلية وجهة نظر في ماهية الفلسفة، وما عسى أن يكون المنهج الفلسفي. ورأيت أن الفلسفة فرع نقدي وتوضيحي وليست فرعًا معرفيًّا إدراكيًّا، بمعنى أن قضاياها لا تنقل حقائق جديدة عن العالم، وإنما توضح الحقائق الموجودة بالفعل. وهدف الفلسفة هو تحليل بنية الفكر، والمنهج الملائم لتحقيق هذا الهدف هو التحليل اللغوي والمنطقي للمفاهيم. ولم يكن هذا الرأي من عندي، وإنما استلهمته من دراساتي في الفلسفة المعاصرة عامة والفلسفة التحليلية على وجه الخصوص. وأنت تجد تعبيرًا صريحًا عن هذه الوجهة من النظر في كتابات فلاسفة مثل فتجنشتين وستراوسون ودميت.

على أن وجهة نظري هذه في طبيعة الفلسفة ومنهجها خضعت لشيء من التعديل بعد التغير الذي طرأ على الفلسفة التحليلية في السبعينيات من القرن الماضي، وهو غلبة المذهب الطبيعي على موضوعات الفلسفة مثل الميتافيزيقا، والأخلاق، وفلسفة اللغة، وفلسفة العقل، والإبستمولوجيا. والمذهب الطبيعي في أيسر معانيه يقول إن كل شيء موجود ينتمي إلى عالم الطبيعة. وإذا شئنا أن نعرفه ونفهمه، فلابد من أن ندرسه عن طريق المناهج الملائمة لدراسة هذا العالم وهي مناهج العلوم الطبيعية. وصاحبَ هذا المذهب الطبيعي صورة من النزعة العلمية ترى أن المنهج العلمي هو وحده القادر على حل المشكلات التي تواجه

الإنسان. وترتب على هذه الصورة من المذهب الطبيعي والنزعة العلمية إنكار أن مهمة الفلسفة توضيحية، وأن قضاياها أولية ومستقلة عن الخبرة الحسية، وإثبات أن الفلسفة جزء أساسي من محاولة معرفتنا للعالم. ونظر كواين إلى الفلسفة برمتها بوصفها متصلة بالعلم، ومهمتها هي رسم السمات العامة جدًّا للواقع، ولا تختلف عن العلم إلا اختلافًا كميًّا فقط وفي سعة أسئلتها ومقولاتها. وتستطيع أن تجد إرهاصات متنوعة لهذا المذهب الطبيعي عند فلاسفة مثل بيرس ورسل وكارل بوبر.

على أنني لم أقبل هذا التحول الطبيعي برمته، وإنما أدخلت عليه شيئًا من التعديل، وسميت وجهة نظري في الإبستمولوجيا "المذهب الطبيعي الإبستمولوجي المعتدل"، وهي معروضة في نهاية الفصل السادس.

والشيء المحقق أن الأسئلة المتعلقة بطبيعة الفلسفة، ومناهج البحث الفلسفي، ولماذا ينبغي التفكير في أن الفلسفة ذات قيمة، تنتمي إلى جانب من الفلسفة يسمى ما بعد الفلسفة. ولما كان هذا الاسم ربما يوحي بأن البحث الفلسفي "يبدو وكأنه يهبط على الفلسفة من فوق أو من وراء" (Williamson 2007: ix)، وبالتالي تنتمي هذه الأسئلة إلى "فرع متميز من مستوى أعلى" (Glock 2008: 6)، أقول لما كان اسم ما بعد الفلسفة يوحي هكذا، رأي بعض

الفلاسفة أن الملائم هو أن نسمي هذا الجانب من الفلسفة باسم فلسفة الفلسفة. ومهما يكن من أمر، فإن مصطلح ما بعد الفلسفة وضعه موريس لازرويتز تلميذ فتجنشتين في الأربعينيات من القرن الماضي. (Oro and Overgaard (Lazerowitz 1970:91; D' 2017:3

وهذا التطور الذي أصاب الفلسفة التحليلية، والذي ترك أثره في تعديل رؤيتي للفلسفة، سوف تلحظه في بنية هذا الكتاب. سوف نبدأ بالتحول اللغوي كما تجسده الفصول المتعلقة بفلسفة اللغة والعقل إلى حد ما، ثم نعالج التحول الطبيعي كما توضحه الفصول المرتبطة بالإبستمولوجيا وفلسفة العلم.

فلسفة اللغة والعقل

هناك افتراض سَلَّمَ به القدماء وهو أن مفاهيم الحق والخير والجمال تشير إلى كائنات مجردة توجد بشكل مستقل عن الطريقة التي نستعمل بها الألفاظ للتعبير عن هذه المفاهيم. ولكن فلاسفة التحليل المعاصرين يشكون في هذا الافتراض على أساس أن اللغة ابتكار بشري، وأن فهم تعبيرات اللغة ومعرفة معانيها يتطلب معرفة طرق استعمالها.

وفي الرد على الأسئلة التي تأتي في صيغة "ما (س)؟"، سعى الفلاسفة بصورة تقليدية إلى التعريفات التحليلية لـ (س)، وهذه التعريفات تحدد الشروط التي تكون ضرورية على انفراد وكافية بالاشتراك معًا لوجود (س).

ويمكن فهم التعريفات التحليلية إما بوصفها تعريفات اسمية nominal definitions تحدد المعنى اللغوي للكلمات، وإما بوصفها تعريفات واقعية real definitions تعين طبيعة أو جوهر الأشياء، وتعيين هذه الطبيعة يُعَدُّ شيئًا مستقلًا عن الطريقة التي نتكلم بها عن الأشياء. وتابع الميتافيزيقيون التقليديون والمعاصرون التعريفات الواقعية بغية السيطرة على طبيعة الأشياء أو ماهيتها المستقلة عن العقل. وحاولوا اكتشاف الحقائق الجوهرية حول الواقع، والتي تكون عامة وأساسية أكثر من حقائق العلم، ومن دون الاعتماد على الخبرة. ورأي كانط أن هذا الطموح محير. وطرح سؤالاً لا يزال يبحث عن جواب: كيف

نستطيع إنجاز استبصارات تركيبية عن الواقع بصورة مستقلة عن الخبرة؟ وداخل التقليد التحليلي تم رفض فكرة الماهيات من فلاسفة مختلفين مثل فتجنشتين والوضعيين المنطقيين وفلاسفة اللغة العادية وبوبر وكواين. وسار في ركابهم كثير من الفلاسفة التحليليين الذين وافقوا على التعريفات الاسمية التي تحدد معنى أو معاني س. (Glock 2017: 82-83)

قدم جوستاف برجمان تعبير التحول اللغوي The linguistic Turn في مراجعته لكتاب ستراوسون الأفراد في عام 1960. وكان برجمان (-1987) 1906 عضوًا في جماعة فيينا ويحضر اجتماعاتها بانتظام في أواخر العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي. وفي عام 1937 فر من النمسا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث قام بالتدريس في جامعة أيوا Iowa منذ عام 1940 حتى تقاعده. وهو معروف جيدا بكتاباته الخاصة في الأنطولوجيا وبأنه ملهم الأنطولوجيين في مدرسة أيوا. ونشر مراجعته لكتاب ستراوسون في مجلة الفلسفة بعنوان "أنطولوجيا ستراوسون"، واهتمت هذه المراجعة في جانبها الأكبر برسم خطوط منهجية برجمان وتصوره للفلسفة. ويرى برجمان أن التحول اللغوي "حيلة أساسية تتعلق بمنهج" اتفقت عليه مجموعتان مختلفتان من الفلاسفة اللغويين "فلاسفة اللغة العادية" (ويمثلهم ستراوسون في رأي برجمان) و"فلاسفة اللغة المثالية" (مثل برجمان نفسه). والحيلة المنهجية هي الكلام عن العالم عن طريق الكلام عن لغة ملائمة. ويدور الاختلاف بين المجموعتين من الفلاسفة، في رأي برجمان، على ما يُعَدُّ لغة وما يجعلها ملائمة لموضوع البحث الذي سوف يلقي ضوءًا على أغراض فلسفية عن طبيعة العالم، وعن الأنطولوجيا خاصة. (P.M.S.Hacker 2013: 926)

ثم جاء رورتي واستخدم مصطلح التحول اللغوي عنوانًا لمجموعة من البحوث قام على جمعها عام 1967 وكتبها رواد الفلسفة التحليلية في ذلك الوقت. وكان الغرض من جمع هذه البحوث هو تقديم مادة للتفكير في الفلسفة اللغوية، التي وصفها بأنها "الثورة الفلسفية الحالية". (غير أن رورتي اعترف فيما بعد بأنه قد أسرف كثيرًا في هذا الوصف. وتجد ذلك في كتابي، البراجماتية الجديدة:

فلسفة ريتشارد رورتي). وَصَوَّرَ الفلسفة اللغوية على أنها وجهة النظر القائلة إن المشكلات الفلسفية هي مشكلات يجوز حلها أو تبديدها إما عن طريق إعادة صياغة اللغة أو عن طريق فهم أكثر للغة التي نستعملها بالفعل.

وفي هذه الفترة كان هناك معسكران متقابلان داخل فلسفة اللغة التحليلية. أما المعسكر الأول، أصحاب فلسفة اللغة المثالية، فكان من رواده فريجه ورسل والوضعيين المنطقيين، وكان هؤلاء مناطقة في المقام الأول يدرسون اللغات الصورية، وأدت هذه الدراسة إلى علم الدلالة الصوري formal semantics المعاصر. وأما المعسكر الثاني، أصحاب فلسفة اللغة العادية أو الطبيعية، فكان من رواده فتجنشتين المتأخر وأوستن ورايل وجرايس وستراوسون، ودافع هؤلاء عن تناول وصفي للغة وأكدوا على الطبيعة الاستعمالية للغة الطبيعية، وأدى هذا التناول إلى علم الاستعمال pragmatics المعاصر.

وعلى حين مال أنصار المعسكر الأول إلى منهج التحليل المنطقي، نجد أن أنصار المعسكر الثاني قد مالوا إلى منهج التحليل اللغوي. وقدم فلاسفة أكسفورد أوصافًا متنوعة لمنهج التحليل اللغوي، فهو عند رايل رسم الجغرافيا المنطقية للمفاهيم، وهو عند أوستن الفينومينولوجيا اللغوية، وهو عند جرايس ارتياد الحقول اللغوية، وهو عند ستراوسون التحليل الرابط.

والفكرة الأساسية التي شغلت فلاسفة اللغة المثالية هي تسوية معنى الجملة الإخبارية بشروط صدقها، أو إقامة علاقة وثيقة بينهما على الأقل. ولم يتقبل فلاسفة اللغة الطبيعية هذا التناول للمعنى، وسر ذلك أنه لا يمكن في رأيهم نسبة الإشارة والصدق إلى التعبيرات اللغوية بمعزل عن سياقها. وانطلاقًا من هذه النزعة السياقية، ذهبوا إلى تسوية معنى الكلمة باستعمالها أو شروط استعمالها.

ورغم هذه الخصومة المبكرة التي نشأت بين الفريقين، يجري النظر الآن إلى علمي الدلالة والاستعمال بوصفهما فرعين يتمم الواحد منهما الآخر، ويلقيان ضوءًا على جوانب مختلفة من اللغة. وطوى النسيان المناقشات حامية الوطيس التي دارت بين هذين الفريقين. وهناك سببان أساسيان لهذا الموقف الجديد. أحدهما أن أصحاب علم الدلالة عندما تحولوا من اللغات الاصطناعية إلى

فلسفة ريتشارد رورتي). وَصَوَّرَ الفلسفة اللغوية على أنها وجهة النظر القائلة إن المشكلات الفلسفية هي مشكلات يجوز حلها أو تبديدها إما عن طريق إعادة صياغة اللغة أو عن طريق فهم أكثر للغة التي نستعملها بالفعل.

وفي هذه الفترة كان هناك معسكران متقابلان داخل فلسفة اللغة التحليلية. أما المعسكر الأول، أصحاب فلسفة اللغة المثالية، فكان من رواده فريجه ورسل والوضعيين المنطقيين، وكان هؤلاء مناطقة في المقام الأول يدرسون اللغات الصورية، وأدت هذه الدراسة إلى علم الدلالة الصوري formal semantics المعاصر. وأما المعسكر الثاني، أصحاب فلسفة اللغة العادية أو الطبيعية، فكان من رواده فتجنشتين المتأخر وأوستن ورايل وجرايس وستراوسون، ودافع هؤلاء عن تناول وصفي للغة وأكدوا على الطبيعة الاستعمالية للغة الطبيعية، وأدى هذا التناول إلى علم الاستعمال pragmatics المعاصر.

وعلى حين مال أنصار المعسكر الأول إلى منهج التحليل المنطقي، نجد أن أنصار المعسكر الثاني قد مالوا إلى منهج التحليل اللغوي. وقدم فلاسفة أكسفورد أوصافًا منوعة لمنهج التحليل اللغوي، فهو عند رايل رسم الجغرافيا المنطقية للمفاهيم، وهو عند أوستن الفينومينولوجيا اللغوية، وهو عند جرايس ارتياد الحقول اللغوية، وهو عند ستراوسون التحليل الرابط.

والفكرة الأساسية التي شغلت فلاسفة اللغة المثالية هي تسوية معنى الجملة الإخبارية بشروط صدقها، أو إقامة علاقة وثيقة بينهما على الأقل. ولم يتقبل فلاسفة اللغة الطبيعية هذا التناول للمعنى، وسر ذلك أنه لا يمكن في رأيهم نسبة الإشارة والصدق إلى التعبيرات اللغوية بمعزل عن سياقها. وانطلاقًا من هذه النزعة السياقية، ذهبوا إلى تسوية معنى الكلمة باستعمالها أو شروط استعمالها.

ورغم هذه الخصومة المبكرة التي نشأت بين الفريقين، يجري النظر الآن إلى علمي الدلالة والاستعمال بوصفهما فرعين يتمم الواحد منهما الآخر، ويلقيان ضوءًا على جوانب مختلفة من اللغة. وطوى النسيان المناقشات حامية الوطيس التي دارت بين هذين الفريقين. وهناك سببان أساسيان لهذا الموقف الجديد. أحدهما أن أصحاب علم الدلالة عندما تحولوا من اللغات الاصطناعية إلى

والعلم، والأخلاق، وكل التنظيم الاجتماعي، بما في ذلك المال، والحكم، والزواج؟ ورأي سيرل أن التقليد الفلسفي الغربي يجتنب المشكلة عند التسليم بعالمين، عالم مادي، وعالم فيزيائي، وحتى ثلاثة عوالم في بعض الرؤى، يضاف إليها العالم الاجتماعي. والرأي الذي يريد سيرل إثباته وإقامة الأدلة عليه هو أننا نحيا في عالم واحد هو العالم الأساسي، والجوانب المختلفة من المستوى الأعلى هي نتائج طبيعية لهذا العالم. ويبدأ بالمخ وكيف يمكن أن يسبب الوعي، ويتحقق فيه في الوقت نفسه، بوصفه مستوى أعلى. وإذا أخذنا الوعي بعين الاعتبار، فليس من الصعب الوصول إلى القصدية، والقصدية هي قدرة العقل على أن يوجه ذاته نحو الأشياء ويمثلها. وهي خاصية للعقل يتجه عن طريقها إلى الأشياء في العالم أو يتعلق بها (صلاح إسماعيل 2007: 151). ومن خلال الوعي والقصدية نستطيع تفسير اللغة. ومن تفسير اللغة نستطيع أن نرى كيف نستعملها من أجل بناء واقع اجتماعي يظهر في الأعمال المالية والتجارية، والأعمال التربوية مثل الجامعات، والقوميات، ونحو ذلك.

وفي الميتافيزيقا والإبستمولوجيا يدافع سيرل عن فرضين. يقول الأول هناك عالم واقعي مستقل عن الكائنات البشرية ومستقل عن تفكيرنا فيه. ويقول الثاني إن العبارات المتعلقة بهذا العالم تكون صادقة أو كاذبة اعتمادًا على ما إذا كانت الأشياء توجد بالفعل بالطريقة التي نقول إنها توجد بها. والفرض الأول هو الواقعية الخارجية، وهي واقعية لأنها تقرر وجود العالم الواقعي، وخارجية تمييزًا لها من أنواع أخرى من الواقعية مثل الواقعية الأخلاقية. ولا يقع في ظنك أنه أضاف صفة الخارجية حتى لا توصف واقعيته بالساذجة؛ لأنه يتصدى بالنقد للاعتراضات التي توجه إلى الواقعية مثل اعتراض وجهة النظر، واعتراض النسبية المفهومية، ونحو ذلك (سيرل 2011 :61 – 68). والفرض الثاني هو نظرية التناظر في الصدق، وتقول في صيغتها الموجزة: تكون العبارة صادقة إذا كانت تناظر واقعة من وقائع العالم، وتكون كاذبة إذا كانت لا تناظر أية واقعة.

أسلفت لك الإشارة إلى أن فلاسفة اللغة المثالية لم يهتموا كثيرًا باللغة الطبيعية بحجة أنها تنطوي على نقائص وعيوب، ومع ذلك أثبت بعض أتباع هذا

المعسكر في الستينيات من القرن الماضي ملاءمة مناهجهم لدراسة اللغة الطبيعية. وكان من أبرز هؤلاء ريتشارد مونتاجيو في الفلسفة الصورية: بحوث مختارة 1974 وديفيدسون في بحوث في الصدق والتفسير 1984. وأرى من الخير أن أمهد بشيء يسير لمفهوم الصدق عند ديفيدسون الذي تجد تفصيلاً له في الفصل الرابع.

دونالد ديفيدسون (1917-2003) واحد من أعظم الفلاسفة الذين ساهموا في رسم صورة الفلسفة الغربية في القرن العشرين، وليس أدل على أصالة إسهامه من أنه لا يتناول أي موضوع فلسفي من دون أن يعيد تشكيله على نحو مهم، فعل ذلك في فلسفة اللغة، وفلسفة العقل، وفلسفة الفعل، والإبستمولوجيا، ناهيك عن تقدير كبار الفلاسفة لعمله مثل كواين وورورتي. وانظر إلى جادامر لتدرك مدى تقديره لديفيدسون، فإذا هو يرشحه لجائزة هيجل، وإذا هو أول فيلسوف غير أوروبي يفوز بها.

وكان هناك خط من التفكير يعود على الأقل إلى فريجه وفتجنشتين المبكر يرى أن الجملة هي وحدة المعنى، ويربط معنى الجملة بشروط الصدق. معنى الجملة هو ما يعرفه المتكلم عندما يفهم الجملة، وما يعرفه المتكلم هو الظروف التي تكون الجملة فيها صادقة. وإن شئت أن تسلك سبيل فتجنشتين في التعبير، قل: أن تفهم ما تعنيه قضية هو أن تعرف ما حالة الواقع إذا كانت القضية صادقة.

ويزعم ديفيدسون أنه ما دامت معرفة معنى الجملة هي معرفة شروط صدقها، فإن امتلاك نظرية في الصدق هو امتلاك نظرية في المعنى. وهنا يظهر اختلافه مع تارسكي الذي افترض أنه لا توجد مشكلة في تقديم ترجمات للجمل وتقديم تعريف للصدق، أما ديفيدسون فقد اعتبر الصدق فكرة أساسية ليست في حاجة إلى تعريف. وفي ذلك يقول إن تقديم شروط الصدق هي طريقة لتقديم معنى الجملة. ومعرفة المفهوم الدلالي للصدق بالنسبة للغة هي معرفة ما يوجد بالنسبة لأي جملة بحيث تكون صادقة. وهذا يعادل فهم اللغة. والرأي عند ديفيدسون أن الصدق مهم ليس لأنه مفيد أو نافع بصفة خاصة، رغم أنه ربما يكون كذلك بين الفينة والفينة بطبيعة الحال، وإنما لأنه من دون فكرة الصدق، لن نكون كائنات مفكرة، ولن نفهم ما يوجد لشخص آخر لكي يكون كائنًا مفكرًا.

ونحن إزاء الصدق نفعل شيئين، أحدهما أن نحاول تعريف مفهوم الصدق، أو أن نسيطر على ماهيته في عبارة بليغة موجزة، والآخر هو أن نتتبع علاقة الصدق بالمفاهيم الأخرى. إذا فكرنا في الأوصاف المنوعة المقترحة (للصدق) بوصفها لا تحاول أن تفعل أكثر من الشيء الثاني، فإن مزاياها تصبح واضحة. وعلى حين يكون التناظر فارغًا باعتباره تعريفًا (للصدق)، نراه يمسك بالفكرة القائلة إن الصدق يعتمد على كيفية وجود العالم، وسيكون ذلك كافيًا لإنكار معظم النظريات الإبستمولوجية والبراجماتية. ومن جهة أخرى، فإن النظريات الإبستمولوجية والبراجماتية تتمتع بميزة ربط مفهوم الصدق بالاهتمامات الإنسانية مثل اللغة والاعتقاد والتفكير والفعل القصدي. وهذه الروابط هي التي تجعل الصدق هو مفتاح إدراك العقل للعالم (Davidson 2000: 72-73).

الإبستمولوجيا وفلسفة العلم

جاء العلم نتيجة لحاجة البشر إلى فهم العالم، شأنه في ذلك شأن فاعليات بشرية أخرى. ويقدم العلم في جانبه النظري تفسيرًا للظواهر الطبيعية أخص ما يمتاز به هو الموضوعية والعقلانية. ولكن زعم عقلانية التفسير العلمي التي يمتاز بها من أنواع أخرى من التفسير مثل تفسير الفهم المشترك أو التفسير الأسطوري، هو زعم في حاجة إلى تسويغ. ويقدم الفصل الخامس هذا التسويغ من خلال مناقشة التفسير العلمي على ضوء فلسفة كارل همبل.

كارل جوستاف همبل (1905 - 1997) واحد من أبرز الشخصيات في الحركة الفلسفية المعروفة بالتجريبية المنطقية، وكان عضوًا في جماعة برلين وجماعة فيينا معًا. ولد في أورنينبرج في ألمانيا، ودرس الرياضيات والفيزياء والفلسفة في جامعات جوتنجن، وهايدلبرج، وبرلين، وفيينا، وحصل على الدكتوراه من جامعة برلين. وَفَرّ من ألمانيا عام 1934 وعمل في بلجيكا حتى عام 1937، ثم هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث عمل في بعض جامعاتها، وتوفي في برنستون بولاية نيوجرسي عام 1997.

ويأتي تأثير همبل في الفلاسفة المحترفين على نحو أعمق من تأثير معاصريه مثل كارناب، وبوبر، وريشنباخ، وكون. ويقاس هذا التأثير بالطريقة التي حَدَّدَ بها عمله بالفعل المشكلات الأساسية والحلول البديلة التي سيطرت على فلسفة العلم في القرن العشرين، بما في ذلك منطق الإثبات، وبنية النظريات العلمية، ومنطق التفسير العلمي، ومشكلة الاستقراء. زد على ذلك الأثر الكبير الذي تركه في تلاميذه مثل نيقولاس ريشر، ولاري لودان، وروبرت نوزك، وجايجون كيم، وفيليب كتشر. ونظر هؤلاء وغيرهم إلى همبل باعتباره نموذجًا يحتذى به من حيث هو فيلسوف ومعلم وإنسان. ومن أبرز كتابات همبل جوانب التفسير العلمي وبحوث أخرى في فلسفة العلم 1965، وفلسفة العلم الطبيعي 1966، ومقالات فلسفية مختارة 2000، وفلسفة كارل همبل: دراسات في العلم، والتفسير، والعقلانية 2001.

والشيء المحقق أن همبل قد شغل بالتفسير العلمي انشغالاً كاملاً حتى صار يسري في فلسفته سريان الماء في العود. ولست أجاوز الحق في شيء إذا قلت عنه إنه فيلسوف التفسير العلمي.

وفي سياق التفسير العلمي تأتي الإبستمولوجيا الطبيعية (في الفصل السادس) التي اقترحها كواين، وجعل أبرز أهدافها إن لم يكن هدفها الرئيس هو تقديم التفسير العلمي. وهنا تظهر العلاقة بين كواين والوضعية المنطقية. صحيح أن الوضعية المنطقية عامة وكارناب خاصة كانت تمثل نقطة الانطلاق لفلسفة كواين، ولكنه أنكر بعض المبادئ الأساسية التي قامت عليها. والشيء العام الذي يشترك فيه كواين مع الوضعيين المنطقيين هو الانتماء للتجريبية. فكواين تجريبي في الإبستمولوجيا وعلم الدلالة على حد سواء. فمن جهة الإبستمولوجيا نراه يقول: أيًا ما كان الدليل الموجود بالنسبة للعلم فهو الدليل الحسي، ومن جهة علم الدلالة نراه يقول: كل انطباع عن معنى الكلمات لابد من أن يرتكز في نهاية الأمر على دليل حسي. ومثلما أدخل الوضعيون المنطقيون تعديلات على هيوم وماخ، كذلك أدخل كواين تحسينات على التجريبية المنطقية. ورسم صورة موجزة لهذه التحسينات في مقالة "خمسة معالم للتجريبية" ضمن كتاب النظريات والأشياء 1981 تأتي على النحو التالي:

1- التحول من الأفكار إلى الكلمات.

2- تحول المركز الدلالي من الكلمات إلى الجمل.

3- تحول المركز الدلالي من الجمل إلى أنساق الجمل.

4- الواحدية المنهجية: أي التخلي عن ثنائية التحليلي- التركيبي.

5- المذهب الطبيعي: أي التخلي عن هدف الفلسفة الأولى السابقة على العلم الطبيعي.

ورث كواين عن أسلافه التجريبيين المعلمين الأول والثاني، وأضاف المعلمين الثالث والرابع، وصبغ الخامس بصبغته الخاصة التي صارت تعرف بالإبستمولوجيا الطبيعية.

وجاءت الإبستمولوجيا الطبيعية لتكون ثورة على الإبستمولوجيا التأملية النظرية الموروثة عن ديكارت ومَن سايره من الفلاسفة المعاصرين مثل رودرك تشزم. وتعتمد الإبستمولوجيا الطبيعية على دعوتين إحداهما سلبية والأخرى إيجابية. فأما السلبية فتقول لا توجد فلسفة أولي سابقة على العلم الطبيعي، ولا يوجد أساس إبستمولوجي غير علمي لتسويغ العلم. وأما الإيجابية فتقول: بدلاً من الفلسفة الأولى، من واجب العلم تحديد ما يوجد (الأنطولوجيا)، وتفسير كيف نعرف ما يوجد (الإبستمولوجيا). وأفضل ما يخبرنا به العلم الحالي عن الأنطولوجيا هو النزعة الفيزيائية، وأفضل إبستمولوجيا هي التجريبية: لا يوجد شيء في العقل إلا وقد مر بالحس أولاً. ويرى كواين أن الأنطولوجيا والإبستمولوجيا تتضمن إحداهما الأخرى. ذلك بأن التجريبية تتضمن النزعة الفيزيائية بمعنى أنه مهما يكن الدليل على النزعة الفيزيائية (أو العلم) فهو دليل حسي، والنزعة الفيزيائية تتضمن التجريبية، بمعنى أن كل تنظير إبستمولوجي يحدث داخل محيط فيزيائي ممتلئ بالأجسام والموضوعات الفيزيائية. ولكن كل ما يخبرنا به العلم عن أفضل أنطولوجيا وأفضل إبستمولوجيا لا يكفي لبلوغ اليقين، ذلك بأن التخلي عن الفلسفة الأولى يعني التخلي عن مطلب بلوغ اليقين وعن نزعة الأسس الإبستمولوجية أيضًا. وهنا تدخل إلى المشهد الفلسفي فكرة نزعة إمكان الخطأ fallibilism التي تقول إن اعتقاداتنا حول العالم ربما يتبين في نهاية

الأمر أنها خاطئة، وقال بها فلاسفة مثل بيرس وبوبر. ودافع عنها كواين أيضًا عندما قرر أن المذهب الطبيعي ينظر إلى العلم بوصفه بحثًا في الواقع، وأنه عرضة للخطأ ويمكن إصلاحه، ولكن لا شأن له بأي محكمة تتجاوز العلم. ولطالما يشير كواين إلى تشبيه المركب عند أوتو نيورات عندما يرى أن الفلسفة والعلم في المركب ذاته، الذي نستطيع أن نجدد بنيانه في البحر بينما نظل عائمين فيه.

وإذا كان المذهب الطبيعي في الإبستمولوجيا قد وجد تأييدًا من فلاسفة مثل ألفن جولدمان، وفريد درتسكي، وديفيد أرمسترونج، ووليم ليكن، ولاري لودان، وسوزان هاك، وبول تشرتشلاند، وغيرهم، فقد صد عنه بعض الفلاسفة في التقليد التحليلي نفسه مثل رايل، وجرايس، وستراوسون، ودميت، وبتنام المتأخر، وأنصار فتجنشتين المعاصرين مثل بيتر هاكر.

وبعد أن أظهر لك الحجج التي قدمها الإبستمولوجيون الطبيعيون لتأييد مذهبهم، وأناقش الانتقادات التي أثارها الخصوم، سوف أقترح موقفًا معتدلاً يتوسط بين طرفين كلاهما مسرف في الرأي. الأول هو المذهب الطبيعي الثوري الذي يقول بضرورة التخلي عن المشكلات والمناهج التقليدية في معالجة الإبستمولوجيا والتحول بدلاً من ذلك إلى المشكلات التي تثيرها الدراسة العلمية للإدراك البشري، وتبني المناهج العلمية وحدها في حل هذه المشكلات. والطرف الثاني هو المذهب الإبستمولوجي النظري في صورته التقليدية والمعاصرة، والذي يبالغ أنصاره في قيمة النتائج الإبستمولوجية التي يصلون إليها من دون الاستعانة بموارد العلم. والموقف الذي أدافع عنه، وآمل أن أزيده توضيحًا في مقبل الأيام، هو المذهب الطبيعي الإبستمولوجي المعتدل.

وإذا كان كواين قد ترك أثرًا واضحًا في تفكير ديفيدسون، فإنه قد ترك أثرًا مماثلاً في فلاسفة أصحاب اتجاهات مغايرة لديفيدسون، وخاصة الفلاسفة المشتغلين بالعقل ومبحث الأعصاب والذكاء الاصطناعي، مثل دانيال دينيت وبول تشرتشلاند، وأثنى هؤلاء على رؤية كواين للفلسفة بوصفها متصلة بالعلوم الطبيعية. على أن الفيلسوف الذي حقق حلم كواين هو الأرجنتيني ماريو بونجي الذي أعرض عليك أفكاره، في الفصل الأخير، لأول مرة في العربية.

وبونجي الذي ولد في 21 سبتمبر عام 1919 ولا يزال حيًّا يرزق حتى كتابة هذه السطور في الأسبوع الأول من عام 2018، لا يتحدث عن الفلسفة العلمية من خارج العلم، وإنما هو فيلسوف عالم. كان أستاذًا للفيزياء في الأصل وانشغل بالفلسفة بعد ذلك. شاهده كواين في مؤتمر فلسفي عام 1956 وبعد وقت طويل قال في سيرته الذاتية الوقت في حياتي: كان نجم المؤتمر هو ماريو بونجي. وأشار بوبر في سيرته الذاتية «تساؤل لا ينتهي» إلى أن بونجي واحد من بعض المنشقين المهمين عن تفسير بور وزملائه في كوبنهاجن لنظرية الكم. ويقول نيقولاس ريشر في تقريظ ورد على غلاف كتاب بونجي الأخير مارس العلم على ضوء الفلسفة 2017: لقد أثبت ماريو بونجي نفسه على طول السنين بوصفه النصير الأول لفلسفة يشكلها العلم عن الإنسان والمجتمع والطبيعة.

وأنت إذا وضعت محاولة كواين إلى جانب محاولة بونجي، وسلكت سبيلهما في القول إن الفلسفة الحقيقية هي المتأصلة في العلم، كان من الطبيعي أن تنكر الفلسفة القائمة على التأمل وحده أحيانًا، أو المعادية للعلم أحيانًا أخرى، وتعيد النظر في كيفية حل مشكلات الفلسفة لتدرك أنه لا يمكن حلها إلا بالاتصال بالعلم، يستوي في ذلك مشكلات اللغة أو العقل أو حتى الأخلاق. وكان من الطبيعي أيضًا أن تحذو حذو بونجي في هجومه الساحق الماحق على الوجودية، والنسوية، وما بعد الحداثة، على أساس أن فلاسفة هذه الاتجاهات لم يحلوا أية مشكلة فلسفية، ولا تخرج فلسفاتهم عن أن تكون إما عبثية أو تافهة. ولا يرضى عن هذه الفلسفات إلا الذين يجدون رزقهم في تدريسها، أو السذج الذين يرونها عميقة ما دامت عسيرة الفهم، أو الكسالى الذين لا قبل لهم بالمناقشة العقلانية.

ومهما يكن من أمر، فإنني أرى أن الإبستمولوجيا التأملية الخالصة هي أسطورة. وأن الضرورة المعرفية التي يقتضيها واقع الثقافة العربية المعاصرة هي أن نعرض عن هذه الأسطورة التي بعد عليها العهد، ويصدق عليها قول النابغة الذبياني:

أَمْسَتْ خَلاءً وَأَمْسَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا   أَخْنَى عَلَيْهَا الذِي أَخْنَى عَلَى لبِدِ

وأسأل الله تعالى أن يتقبل عملي خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به كفاء ما بذلت فيه من جهد.

صلاح إسماعيل

مدينة 6 أكتوبر 20 ربيع الثاني 1439 هـ / 7 يناير 2018 م

المؤلف في سطور

أ. د. صلاح إسماعيل

أستاذ الفلسفة المعاصرة، جامعة القاهرة

قدم إلى الفلسفة العربية المعاصرة فرعين جديدين هما فلسفة اللغة وفلسفة العقل.

الاهتمامات البحثية: فلسفة اللغة، والإبستمولوجيا، والمنطق وفلسفة العلم، وفلسفة العقل.

salah-philosophy@hotmail.com

الإنتاج العلمي

أولاً: الكتب

1- التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، 1993.

2- فلسفة اللغة والمنطق: دراسة في فلسفة كواين، الطبعة الأولى، القاهرة: دار المعارف، 1995.

3- قضايا إشكالية في الفكر الإسلامي المعاصر (بالاشتراك)، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1997.

4- بناء المفاهيم: دراسة معرفية ونماذج تطبيقية (بالاشتراك) في مجلدين، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1997.

5- الإبستمولوجيا الطبيعية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، 2001 - 2002.

6- نظرية المعرفة المعاصرة، القاهرة: الدار المصرية السعودية، 2005.

7- النظرية القصدية في المعنى عند جرايس، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الحولية 25، الرسالة 230، 2005 (أعيد نشره بعنوان نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، الطبعة الأولى، القاهرة، الدار المصرية السعودية، 2005 والطبعة الثانية، القاهرة: دار قباء الحديثة، 2007).

8- نظرية جون سيرل في القصدية: دراسة في فلسفة العقل، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الحولية 27، الرسالة 262، 2007.

9- فلسفة العقل: دراسة في فلسفة جون سيرل، القاهرة: دار قباء الحديثة، 2007.

10- البراجماتية الجديدة: فلسفة ريتشارد رورتي، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2013. الطبعة الثانية، نور نشر، ألمانيا، 2017.

11- فلسفة اللغة، الطبعة الأولى، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2017.

ثانيًا : من البحوث

1- مفهوم الصدق عند ديفيدسون، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، العدد السادس والخمسون، السنة الرابعة عشرة، صيف 1996، ص 206-257.

2- فلسفة العقل عند ڤتجنشتين، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد 56، العدد 4، أكتوبر 1996، ص 39- 99.

3- نظريات التسويغ المعرفي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، العدد 69، السنة الثانية عشرة ـ شتاء 2000، ص 110- 151.

4- جون سيرل ومشكلة الوعي، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مجلد 60 عدد 4، أكتوبر 2000، ص 285-330.

5- ثلاثية سيرل: العقل واللغة والمجتمع، مقدمة ترجمة جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ص11-40.

6- ڤتجنشتين: فيلسوف اللغة والعقل، مقدمة ترجمة هانس سلوجا، ڤتجنشتين، ص7- 38.

ثالثًا : كتب مترجمة

1- جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعي، القاهرة: المركز القومي للترجمة،2011.

2- هانس سلوجا، ڤتجنشتين، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2014.

3- جراهام بريست، المنطق: مقدمة موجزة، تحت الطبع، القاهرة.

4- أنتوني جرايلينج، ڤتجنشتين: مقدمة موجزة، تحت الطبع، القاهرة.

5- شارك في ترجمة قاموس بلاكويل للفلسفة الغربية تأليف Nicholas Bunnin و Jiyuan Yu قيد الإعداد والنشر، القاهرة: المركز القومي للترجمة.

6- ماريو بونجي، المادة والعقل: بحث فلسفي، تحت الطبع، القاهرة: المركز القومي للترجمة.

7- بيتر هاكر، التحول اللغوي في الفلسفة التحليلية، مقبول للنشر في مجلة مخاطبات، مجلة إلكترونية.

المحتويات

الصفحة	الموضوع

الفصل الثالث

سيرل ومشكلة الوعي

الموضوع	الصفحة

الفصل الرابع

مفهوم الصدق عند ديفيدسون

الفصل الخامس

التفسير العلمي على ضوء فلسفة كارل همبل

الفصل السادس

كواين والإبستمولوجيا الطبيعية

الموضوع	الصفحة

قائمة الإصدارات

م	عنوان الكتاب	المؤلف / المترجم	سنة النشر
1	النص والتأويل في الخطاب الأصولي (آليات القراءة وسلطة التناص)	بشية الحلاصي	2014
2	سلطة الإجماع (الإشكاليات – النقد)	حادي دويب	2014
3	فلسفة كارل بوبر السياسية (من الإبستيمولوجيا إلى الأيديولوجيا)	أحمد فاروق	2014
4	نظرية المعرفة العلمية (الإبستيمولوجيا) روبير بلانشية	ت / حسن عبد الحميد	2014
5	الإسماعيليون في بلاد المغرب (الفكر – المؤسسات – العمران)	بوبة مجاني	2014
6	إشكالية الخصوصية الثقافية لدى مفكري الغرب الإسلامي	عبد المجيد الصغير	2014
7	المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي	ابراهيم القادري بوتشيش	2014
8	العقل والوحي (منهج التأويل بين ابن رشد وبين بن ميمون وسبينوزا)	أشرف منصور	2014
9	الخطاب الصوفي في الغرب الإسلامي مقاربات منهجية	محمد مفتاح	2014
10	الاصول الفرعية للتشريع في المذهب المالكي	عارف عليمي	2014
11	دلالة الشكل دراسة في الإستطيقا الشكلية	عادل مصطفى	2014
12	كشف أسرار الباطنية وأسرار القرامطة	الحمادي المعافري	2014
13	شروحات السماع الطبيعي لإبن باجة الأندلسي	معن زيادة	2014
14	جنة النساء والكافرين سفارة نامة (محمد جلبي)	ت / خالد زيادة	2014
15	الحركة من الطبيعة إلى مابعد الطبيعة دراسة في فلسفة إبن باجة الأندلسي	تحقيق / معن زيادة	2014
16	تاريخ محمد علي وإبراهيم باشا (إسكندر يعقوب أغابكاريوس)	تحقيق / أحمد العدوي	2014
17	فكرة الإلوهية في فلسفة باركلي	فريال حسن خليفة	2014
18	تجليات الثقافي في الربيع العربي	كمال عبد اللطيف	2014
19	نقد التوراة في الفكر اليهودي والمسيحي والإسلامي	أحمد هويدي	2014
20	نقد العهد القديم (زالمار شازار)	ت / أحمد هويدي	2014
21	الحجاج والمواطنة	توبي لحسن	2014
22	محطات دبلوماسية	أحمد عبد الوهاب	2014
23	شفرات النص دراسة في سمولوجيا القص والقصيد	صلاح فضل	2014
24	التمثيل الجمالي للحياة	صلاح فضل	2014
25	تحولات الشعرية العربية	صلاح فضل	2014

26	قراءة الصورة وصور القراءة	صلاح فضل	2014
27	نقد الخطاب المفارق في السرد النسوي بين النظرية والتطبيق	هويدا صالح	2014
28	التعالق النصي في الخطاب النقدي والإبداع الشعري	ناسي إبراهيم	2014
29	النص التفاعلي آليات السرد وسحر القراءة	لبيبة خمار	2014
30	القراءة والتجربة حول التجريب في الخطاب الروائي الجديد بالمغرب	سعيد يقطين	2014
31	الخبر والحكاية التشكل الدلالي في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي	بشرى قانت	2014
32	مسجونة إحتياطي (رواية)	نيرمين الحطيطي	2014
33	حسن الختام (رواية)	صفاء النجار	2014
34	صاحب الفهم الجديد للإسلام قراءة في المواقف وتزوير التاريخ	عبدالله الفكي البشير	2014
35	الأفعى والبحر (رواية)	محمد زفزاف	2013
36	أفواه واسعة (رواية)	محمد زفزاف	2013
37	قبور في الماء (رواية)	محمد زفزاف	2013
38	المرأة والوردة (رواية)	محمد زفزاف	2013
39	بيضة الديك (رواية)	محمد زفزاف	2013
40	أرصفة وجدران (رواية)	محمد زفزاف	2013
41	الحي الخلفي (رواية)	محمد زفزاف	2013
42	محاولة عيش (رواية)	محمد زفزاف	2013
43	مستويات الخطاب المنهجي	حسن عبد الحميد	2013
44	صورة المثقف في الرواية الجديدة	هويدا صالح	2013
45	المغالطات المنطقية	عادل مصطفى	2013
46	الفن (كلايف بل)	عادل مصطفى	2013
47	الأورجانون الجديد (فرنسيس بيكون)	عادل مصطفى	2013
48	الصراع بين المتدينين والعلمانيين في إسرائيل	أحمد محمود هويدي	2013
49	البداية والنهاية في الرواية العربية	عبد الملك أشهبون	2013
50	التاريخ السياسي للمعتزلة	عبد الرحمن سالم	2013
51	سبينوزا ونقد العقل الخالص	أشرف منصور	2013
52	الصابئة منذ ظهور الإسلام حتى نهاية الخلافة العباسية	أحمد العدوي	2013
53	الثورة في العالم العربي (تونس ومصر ونهاية عصر	ت / هاني حلمي	2013
54	إحدى عشر دقيقة (باولو كويلو) - (رواية)	ت / وائل بحري	2013
55	الشيخ والبحر (أرنست هيمنجواي)	ت / علي القاسمي	2013
56	الوليمة المتنقلة (أرنست هيمنجواي)	ت / علي القاسمي	2013
57	النقد ومستقبل الثقافة العربية	فريال حسن خليفة	2013
58	الفقه والتاريخ في الغرب الإسلامي	لخضر بولطيف	2013
59	الغرب الإسلامي مباحث في العلوم التجريبية	سعيد بنحمادة	2013

اللغة والعقل والعلم

في الفلسفة المعاصرة

"أردت في هذا الكتاب أن أتعمّق داخل بعض الموضوعات التي تقع في صميم ثلاثة فروع فلسفيّة متقاربة هي فلسفة اللغة، وفلسفة العقل، وفلسفة العلم. وهذه الموضوعات هي المعنى، والصدق، والوعي، والتفسير العلمي، والمعرفة العلمية. وستجد أن الخيط الرابط بين فصول الكتاب هو الدفاع عن الفلسفة المتأصّلة في العلم"

9 789774 993039

رؤية
صلاح إسماعيل